مركز القلب فلسفة الأسى والإهمال

سرير واحد لكل مليون يمني والتوسعة ليست في الحسبان

"القلب" إنه الجهاز الذي لا يملك أي إنسان في العالم أغلى منه في جسمه ، وباعتلاله يصبح منتظرا للموت في أية لحظة ما لم يحظ بفرصة علاج مناسبة ... والانسان اليمني كأي إنسان في هذا الوجود إلا أنه يزيد عنهم بخصلتين الأولى أنه الأكثر إصابة بأمراض القلب من بين دول العالم الثالث والأسباب كثيرة ... والثانية تتلخص في جملتين " العلاج حلم من الصعب تحقيقه " كل هذا لأنه لا يوجد في اليمن مستشفى حكومي متخصص في علاج مرضى القلب باستثناء مركز وحيد في مستشفى الثورة بصنعاء يعمل على استحياء لأنه ـ هو الآخر ـ يعاني الكثير من المشاكل وعلى رأسها انسداد في الشرايين المالية وهجرة الكفاءات العلمية وبالتالي يمكن أن نقول للمواطن الغلبان " لا تملك لك الدولة غير الأنين والحنين " ... في التحقيق التالي تفاصيل دقيقة عن معاناة المرضى في مركز القلب الوحيد وما الذي يمكن أن تقدمه الحكومة له؟ ... نتابع..

مدير المركز : نقص المستلزمات وهجرة الأطباء والمالية سبب المشكلة

وزارة المالية : لا علاقة لنا في ما يحدث ونوفر كل ما يطلب منا

تحقيق/ هشام المحيا

يعمل منذ بزوغ الشمس وحتى الغروب في مهنة لا تسمن ولا تغني من جوع ومن ثم يعود إلى منزله الذي لا يتجاوز الغرفتين ليجلس مع أبنائه وبناته وينسى كد وتعب يومه قبل أن يخلد إلى النوم ليصحو مبكرا استعدادا لغده ، استمر على هذا الروتين اليومي وفي أحد الأيام وأثناء جلسة عائلية تعالت فيها أصوات الضحك إلى عنان السماء وتجاوزت السعادة حدود الغرفتين المتهالكتين إلى أبعد مدى ، جاء الذي لم يكن بالحسبان حيث الحاج علي قاسم البواب ـ وهو المعني بالحديث السابق ـ يصاب بمرض لا طاقة له بتحمله ولا بعلاجه ، لتنقلب السمرة من فرح وسرور إلى سمر من نوع آخر حيث باتت العائلة ليلتها في باحة المشفى الخاص والرجل في غرفة العناية المركزة وفي اليوم التالي أجريت له الفحوصات التي استنزفت كل أمواله الشحيحة أصلا وأظهرت النتائج أنه مصاب بمرض في القلب وقرر له الأطباء عملية وقيمتها تتجاوز المليون ونصف المليون ريال ، هنا انهارت قوى الرجل وأسرته وحملوا مريضهم على أكفهم والدموع على مآقيهم وعادوا إلى البيت رافعين راية الفقر الذي سيحل بهم قريبا لمرض والدهم الذي كان مصدر الدخل الوحيد بالنسبة لهم ، ورفعوا ـ أيضا ـ راية الاستسلام للمرض الذي نهايته الموت المحقق .

عاد الأمل لهذه الأسرة عندما عرفوا أنه يوجد في مستشفى الثورة بصنعاء مركز متخصص لعلاج القلب والتكاليف على نفقة الدولة ، فما أن سمعوا الخبر حتى انطلقوا إليه مسرعين لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من حياة والدهم الذي يواصل المرض الفتاك به يوما تلو الآخر ، وصلوا إلى المركز وهنا بدأت المعمعة وبدأ الجهاد الأكبر حيث لعبة توم وجيري " الملاحقة " بدت مسيطرة على الموقف فكل يوم يظن فيه أهل المريض خلاصهم يجدون أن المركز يقول " فاصل ونواصل " وهكذا حتى أنهوا الشهر الرابع دونما فائدة تذكر ليعود الرجل إلى بيته مرة أخرى مثقلاً بالديون منكسر الحظ منتظرا للموت .

قصة هذه الأسرة تعكس مدى الوضع الاقتصادي المأساوي الذي تعيشه الكثير من الأسر اليمنية ، من جهة أخرى صورت لنا مدى الإهمال والعبث بأرواح الناس وذلك من خلال الممارسات السلبية وعلى رأسها المماطلة بالمواعيد ، غير أن هذا الوضع لا تتحمله إدارة المركز وحدها فإدارة الهيئة ووزارة المالية تتحملان المسؤولية الكاملة كونهما لم يوفرا الحد الأدنى من مطالب المركز لاستقبال أكبر قدر ممكن من المرضى .

وحتى تتضح الصورة أكثر قمت بزيارة إلى مركز القلب بهيئة مستشفى الثورة ، وهناك هالني الأمر كثيرا وأيقنت أن الحكومة غائبة تماما عن هؤلاء الذين يموت الواحد منهم كل يوم ألف مرة وهم يبحثون عن علاج لن يصلوا إليه إلا وقد مات أغلبهم .

بداية الجولة كانت من أمام باب المركز ، وهنا ترى الصورة واضحة بكل تفاصيلها الحزينة فالمكان مزدحم جدا وعلى مدار الساعة فالمرضى هنا لا يكلون ولا يملون وهم في حالة انتظار لإشارة الجندي الذي يقف بالباب كحاجب بينهم وبين الأطباء ويرفض كل المساومات الرامية إلى محاولة الدخول وذلك لأن الطاقة الاستيعابية للمركز لا تسمح بدخول كل الناس وبالتالي علاجهم .

البعض من هؤلاء أمضى الشهرين والبعض الآخر أكثر من ذلك وهم في انتظار الدخول إلى الأطباء ، وإن دخل المريض إلى الطبيب فلن تنتهي معاناته حيث سيبدأ الفصل الثاني من مسرحية " من يشتي الحالي صبر " والذي سيكون محوره " انتظر عاد قبلك كثير " وستكون مدة الانتظار على الأقل خمسة أشهر " من غير الجمع والعطل الرسمية "

هذه المعاملة التي يجدها مرضى القلب صورها لنا أحد المرضى هناك واسمه أحمد شايف صالح بقوله " لا تختلف معاملة مركز القلب عن أي وزارة في اليمن حتى على مستوى أدق التفاصيل كالدخول من البوابة " أحمد أمضى حوالي أسبوعين وهو يريد الدخول من البوابة لعمل قسطرة علاجية حددها الأطباء هناك ، وأشار أحمد إلى سابقة خطيرة في المركز تتمثل بالمقاولة ـ حد وصفه ـ وتعني أن يقوم بعض العاملين بالمركز بأخذ معاملة المريض ومتابعتها حتى النهاية مقابل مبالغ مالية تدفع لهم ، وهذا يعني أن الذي لا يملك المال سينتظر حتى تأتيه الساعة المكتوبة من السماء .

أما سعيد صالح " مريض " من محافظة البيضاء رداع فترجم امتعاضه من المركز بتنهيدة طويلة تلتها كلمة " أووووووف " ويقول " المعاملة من حق بلادنا روح وارجع " سعيد يبحث عن عملية قسطرة ثالثة بعد عمليتين سابقتين نجحت الأولى وفشلت الثانية وأمضى سنة كاملة وهو يتردد على باب المركز ولم تنته بعد معاناته .

محمد علي القرني من محافظة ذمار لديه مشكلة أخرى فقد أضاع العاملون في مركز القلب ملفه وهو الآن في حالة " حيص بيص " يعاني من انسداد ثلاثة شرايين في قلبه وانسداد باب المركز في وجهه لذا هو يتوقع الموت في أية لحظة ويرى بأن عملية إنقاذه باتت ضئيلة .

روتين قاتل

وللإطلاع على الوضع عن كثب تم إجراء مقابلة مع الاستشاري الدكتور صالح عاطف مدير مركز القلب والذي أبدى استياءه الشديد من الوضع الذي يمر به المركز حاليا بسبب النظام المركزي القائم في المستشفى حيث يستغرق طلب المركز أسبوعا ـ على الأقل ـ يتنقل بين مكاتب المشفى للحصول على أي شيء مما يحتاجه المركز حتى على مستوى " لمبة الضوء " ، وفي بداية اللقاء أكد الدكتور عاطف أن الطبيب في مركز القلب يشعر بمعاناة المريض ويعيش معه أوجاعه اللامتناهية ولكنه لا يملك له شيئاً فوضع المركز يزداد سوءاً وذلك بسبب هجر الأطباء للمركز لقلة الراتب الذي يتقاضوه وكذلك لغياب المخصصات المالية الكافية التي تمكن المركز من زيادة الطاقة الاستيعابية لإجراء أكبر قدر ممكن من العمليات ومساعدة كل المرضى خصوصا وأن هذا المركز يعتبر المكان الوحيد المتخصص لأمراض القلب في اليمن ، ويضيف " الدولة لا تعمل أي اعتبار للصحة خصوصا أمراض القلب ونسيت أن تقدم الشعوب يقاس بأمرين التعليم والصحة " ويرى أن وزارة المالية تصرف أموالا لمشاريع هي بالأصل أقل أهمية من صحة المواطن ويرجع الدكتور عاطف سبب عدم التكافؤ في توزيع الموارد إلى قصر يد الأطباء عن المطالبة بحقوقهم وطول أيادي الآخرين ، وأضاف " هذا الإهمال أدى إلى تفاقم الوضع الصحي لدى المواطنين الذين لا تصل أيديهم إلى العلاج إلا بشق الأنفس ، لذا نرى أن الحل الوحيد هو استقلال المركز ماليا وإداريا للنهوض بأمر المرضى " ويتهم مدير المركز وزارة المالية ولجنة المناقصات بالإهمال المنقطع النظير المركز القلب والدليل أن المركز يعاني من نقص متواصل في المستلزمات الطبية الخاصة بأمراض القلب ، إضافة إلى أن وزارة المالية لا تدفع للعملية الواحدة سوى ألف دولار بينما في أي دولة بالعالم لا تقل قيمة العملية الواحدة عن السبعة آلاف دولار كما يشكو المركز من نقص في المستلزمات الطبية وعلى رأسها الدعامات التي تكلف الكثير .

مرضى:
سنموت ونحن ننتظر طابوراً طويلاً لإجراء العملية

المالية تنفي

من جهتها نفت وزارة المالية ـ ممثلة بمدير عام الموازنة طارق عبدالرقيب راشد ـ أن يكون للوزارة أي ذنب في كل ما يجري بمركز القلب بمستشفى الثورة وذلك لأن المستشفى هو من يرفع للمالية باحتياجاته وما على المالية إلا الموافقة وبحسب الإمكانيات المتوفرة ، وقد أظهر التقرير التي أفادتنا به وزارة المالية أن مركز القلب يتمتع بميزانية هائلة تسد احتياجاته ، الأمر الذي نفاه مدير المركز نفيا قاطعا ولو كان الأمر كذلك لما استغرق أسبوعا يبحث عن " لمبة " ضوء من إدارات المستشفى ـ حد تعبيره .

الدكتور أنور نائب مدير عام هيئة مستشفى الثورة رفض التعليق على الموضوع باعتباره من اختصاص المدير العام للهيئة ، ونحن بدورنا حاولنا مقابلة المدير فلم نجده رغم ترددنا على مكتبه أكثر من ثلاثة أيام .

العمر القصير

في بداية القرن الواحد والعشرين وبالتحديد في العام 2001م أنشئ مركز القلب في هيئة مستشفى الثورة العام بصنعاء كمركز متخصص وحيد في اليمن للتخفيف من معاناة مرضى القلب ، وبالفعل خطى هذا المركز خطوات متقدمة وعمل على إنقاذ الكثير من مرضى القلب رغم الإقبال الكثيف عليه من كل المحافظات

هذا المركز كغيره من المشاريع في اليمن القصيرة العمر والأمد التي قد تدمرها المشكلات بعد ظهورها بسرعة هائلة في اليمن وذلك لأسباب ترجع إلى "موال" الفساد المتعارف عليه في المؤسسات الحكومية ، يضاعف من معاناة المركز تأخر لجنة المناقصات عن تلبية طلبات المركز من المستلزمات الطبية مثلا عندما طلبت إدارة مركز القلب ألفي إبرة قسطرة من لجنة المناقصات لإجراء العمليات ، قيمة الإبرة الواحدة دولاران ، تم رفض الطلب بداعي أن السعر مرتفع ، وبالتالي اضطرت إدارة المركز إلى شرائها من السوق بأربعة دولارات ونصف الدولار .

لم تقف معاناة المركز عند هذا الحد بل المواد التي يستخدمها الأطباء لإجراء العمليات الجراحية في تناقص مستمر وقد تتعرض للنفاد في أية لحظة وحينها سيتوقف إجراء العمليات لعدم وجود ـ ربما ـ إبرة فارغة " نيدل " أضف إلى ذلك أن جهاز العمليات قد انتهى عمره الافتراضي ويمكن أن يتعطل في أية لحظة وقد يكون ذلك أثناء أي عملية ما ، أما الأدهى والأمر من ذلك هو أن عدد أسرة الرقود بالمركز لا تتجاوز 26 سريرا أي أن لكل مليون يمني سريرا واحدا عليهم أن يتقاسموه بالسنتيمتر المربع ، وإن تقاسموه فلن يكفي ، كل هذا أدى إلى هجرة الكثير من الأطباء من مركز القلب إلى الخارج .

هجرة العقول

وتستمر المسرحية الهزلية في مركز القلب ولكن هذه المرة من خلال قص الكفاءات العلمية ولصقها في مجلد دول الجوار ، وتتبع هذه السياسة من المثل الشعبي القائل " اللي يده في الماء مش مثل اللي يده في النار " ، فالمسؤول أو الشيخ إن أصابته جلطة قلبية أو انسداد في الشرايين فسيجد ميزانية الدولة فاتحة له بابها على مصراعيها ومستشفيات الدول العظمى لن تتوان في استقباله لذا هو لا يهمه أن تهاجر العقول اليمنية وبالذات الأطباء إلى الدول المجاورة والبعيدة بحثا عن لقمة العيش بعد أن طفح بهم الكيل في مستشفياتنا ، فحسب إحصائية رسمية فإن عدد الأطباء الذين تركوا مركز القلب بمستشفى الثورة ـ خلال العامين الماضيين ـ ثلاثون طبيباً أغلبهم في دول الخليج .

بالمقابل أوضحت إدارة المركز أنها ستعمل مضطرة على استقطاب أطباء من الخارج لقسم القلب والسبب هجرة الأطباء اليمنيين.

وقد أنفقت الدولة على هؤلاء أكثر من مائتي مليون ريال لتوصلهم إلى هذا المستوى وعند نضوج الثمرة أحبوا رد الجميل للدولة من خلال العمل في مركز القلب إلا أن الحكومة لم تقصر في حقهم فقامت بالعديد من الإجراءات التي تسرع خروجهم من اليمن لخدمة دول الحوار وذلك من خلال رواتب لا تبلغ حد الكفاف وبالتالي خرجوا من بلدهم مكرهين بحثا عما يسد حاجتهم .

مركز المعاناة

إن شح إمكانيات المركز سبب في هجرة الكثير من الأطباء وبالتالي ألقت هذه المعادلة الصعبة بظلالها على المرضى الذين يتزاحمون يوميا على باب المركز بغية الوصول إلى الأطباء لإجراء العمليات المقررة لهم إلا أن المركز وخاصة في هذه الأيام توقفت فيه عمليات القلب لأسباب تتعلق بالترميم داخل غرف العمليات ، حسب تأشيرات إدارة المركز وقد أوضح مصدر مسؤول في مستشفى الثورة أن عدد العمليات الأسبوعية تراجع بنسبة 82% حيث كان المركز ينجز حوالي ست عمليات في اليوم الواحد ، أما في الوقت الحالي فلا تتجاوز العملية الواحدة .

ختاما

خلص هذا التحقيق إلى أن مرضى القلب في أشد المعاناة بينما وزارة الصحة غائبة تماما عن الوضع كذلك إدارة الهيئة تصرف الملايين في أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ، وتشترك وزارة المالية مع الهيئة في تحمل المسؤولية إزاء هجرة الأطباء إلى دول أخرى والذي زاد من معاناة المرضى.